قراءة في مقال الأستاذ محمد الحبيب بشاري

"الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها".

Read an article by Pr. Mohamed El-Habib Bachari "The Romanian literary life and the contribution of Africans to its revival".

طالبة دكتوراه/ صونية شلالي.

جامعة الحاج لخضر/ باتنة 01.

sounia.chellali@univ-batna.dz

طالبة دكتوراه/ حبيبة بن يحي.

habiba.benyahia@univ-batna.dz

جامعة الحاج لخضر/ باتنة 01.

الملخص:

يرتبط الحديث عن أي شعب أو أي حضارة، ارتباطا وثيقا بثقافتها، حيث تعتبر اللغة ركيزة أساسية لبنائها، إذ تعتمد عليها في مختلف معاملاتها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ويسوقنا الحديث عن اللغة إلى الحضارة الرومانية، التي مافتئت لغتها تتحسن حتى تخلصت من اللغة الإغريقية، واستبدلتها باللاتينية التي ارتقت من لغة الفلاحين، لتصبح لغة العلوم والآداب، ثمّ سعت لنشرها في مختلف مستعمراتها، بعد سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط، وهو ما ساعد في بروز حركة فكرية واسعة، كانت بداياتها الأولى بروما، ثمّ سرعان ما انتقلت إلى مقاطعاتها، لتبرز مقاطعة إفريقيا التي كان لها دور كبير في النهوض بالفكر الأدبي اللاّتيني، خاصة بعدما شهد ركودا بعد فرونطون السيرتي وأبليوس المادوري، إلى غاية نهاية القرن الثاني للميلاد، ليحدث الأدب المسيحي الذي برز فيه الأفارقة خاصة، ثورة ثقافية دينية لم تشهد الإمبراطورية الرومانية، مثيلا لها من قبل، وقد تحدثت المصادر والمراجع باختلافها عن الموضوع، ومنها مقال الأستاذ محمد الحبيب بشاري، الذي حاول فيه إبراز دور الأفارقة في إنعاش الأدب اللاّتيني، والذي سنحاول من خلال قراءتنا له، التطرق لأهم النقاط التي تناولها في هذه الدراسة، من خلال طرح الإشكالية الآتية: كيف كانت بدايات الأدب اللاتيني؟ وفيما برز دور الأفارقة لتطويره؟.

الكلمات المفتاحية:

الأدب الروماني، اللاتينية، الأفارقة، تطوير، الأدب المسيحي.

Abstract:

When we talking about any people or any civilization is closely related to its culture, as the language is a basic pillar for its construction, as it depends on it in its various administrative, economic, social and other transactions. In Latin, which rose from the language of the peasants, to become the seince s langauge and literature, and then sought to spread it in its various colonies, after its control over the Mediterranean, which helped in the

emergence of a wide intellectual movement, which had its first beginnings in Rome, and then quickly moved to its provinces, To highlight the boycott of Africa, which had a major role in the advancement of Latin literary thought, especially after it witnessed a stagnation after Fronton the cirtian and Apolius the madurian, until the end of the second century AD, to bring about Christian literature, in which Africans emerged in particular, a religious cultural revolution that the Roman Empire did not witness, like It has before, and different sources and references have talked about the subject, including the article of Professor Muhammad Al-Habib Bashary, which he tried to highlight the role of Africans in reviving Latin literature, and through our reading of it, we will try to address the most important points addressed in this study, by raising this folowing question : How was the beginnings of Latin literature? What has emerged as the role of Africans to develop it?
Key word:
roman literature, latin, Africans, Development, Christian literature.

مقدمة:

الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها، للأستاذ الدكتور محمد الحبيب بشاري، عبارة عن مقال منشور في مجلة عصور، الصادرة عن مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران الجزائر، العدد عشرون (20) بتاريخ 2013م، بداية من الصفحة 18 إلى غاية الصفحة 49 من المجلة أي حوالي 32 صفحة، تطرق في البداية إلى تقديم شامل حول الموضوع، مع الحديث عن اللغة اللاتينية وبدايات الإبداع الفني، إضافة إلى ذكر بعض الآداب والفنون، التي عرفتها روما من مسرح وشعر وأدب وفلسفة، ثم خصص عنصرا تحدث فيه عن الأدب اللاتيني المسيحي، وأهم رواده الذي كان أغلبهم من أصول إفريقية أمثال ترتليانوس وكبريانوس والقديس أوغسطين.

أولا- الجانب الشّكلي للمقال:

يجدر بنا قبل كل شيء الحديث عن عنوان المقال، باعتباره الواجهة الأساسية للموضوع، حيث يمكن تقسيمه إلى جزأين، (الحياة الأدبية الرومانية) و(مساهمة الأفارقة في إنعاشها)، والإشكال المطروح هو لماذا اعتمد المؤلف مصطلح الرومانية بالتحديد؟.

يمكن القول أن المؤلف اعتمد مصطلح الرومانية نسبة إلى العاصمة روما، نظرا لأن البدايات الأولى للأدب في إيطاليا، انطلقت من روما التي شاركت فيه غيرها من الأقاليم الإيطالية، والغالب أن المؤلف لم يستخدم مصطلح (الأدبية اللاتينية) نظرا لأن مصطلح الرومانية اشمل وأدق من اللاتينية.

وذلك لأن اللغة اللاتينية في بدايات الحركة لم تكن بارزة بما فيه الكفاية، لتصبح لغة العلوم والآداب، إذ كانت اللاتينية تسير ببطء شديد جدا _خلال الخمس قرون الأولى منذ

تأسيس روما_ وراء الجيوش الرومانية المحاربة، والغازية في أنحاء ايطاليا، التي امتازت بلغات ولهجات عديدة، فرغم ضم الجيش الروماني لأراضي شاسعة، إلى الممتلكات الرومانية، إلا أن النصر لم يكن حليفا للغة اللاتينية، على سائر اللهجات الايطالية، إلا بعد ذلك بوقت طويل، وفي فترة متأخرة من التاريخ الروماني، فمع نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، تدخل روما في تواصل مع اليونان عبر العديد من المدن، مثل كامبانيا، جنوب إيطاليا، صقلية، ثم تحاول إخضاع كل تلك الشعوب لسيطرتها.[1] ومباشرة بعد الحرب البونية الأولى سنة 241ق.م، بعدما خرجت روما منتصرة، لتؤكد زعامتها على كامل إيطاليا تقريبا، هنا بدأ الأدب الروماني في البروز، والذي عرف فراغا لمدة خمس قرون، من تأسيس روما سنة 753ق.م إلى غاية 241ق.م. وهو ما ساعد روما في الخروج من الدائرة الضيقة التي حصرت فيها.[2]

أما القسم الثاني من الموضوع (مساهمة الأفارقة في إنعاشها)؛ فالمؤلف يحاول تأكيد دور الأفارقة (مثقفو شمال إفريقيا)، في ازدهار الأدب الروماني خاصة خلال القرن الثاني للميلاد، زمن ترتليانوس الذي سمي بأبي الأدباء اللاتين. وكبريانوس والقديس أوغسطين بعد ذلك، وغيرهم ممن ظهر على الساحة الأدبية المسيحية، والذين أحدثوا تغييرات جذرية، وطفرة نوعية على الأدب الروماني.

التعريف بصاحب المقال:

درس الأستاذ محمد الحبيب بشاري في جامعة الجزائر، ونال منها شهادة الماجستير في التاريخ القديم عام 2000، حول موضوع "دراسة تاريخية لمقاطعة موريطانيا السطايفية"، وتحصل على شهادة الدكتورا في التخصص ذاته والجامعة نفسها، عام 2007م حول موضوع "دور المقاطعات الإفريقية في اقتصاد روما بين 146ق.م و 285م"، ونشر أطروحته عام 2015م الصادرة عن دار الهدى، وله عدة دراسات مطبوعة في المجلات الأكاديمية مثل "مجلة الدراسات التاريخية" و "مجلة عصور" و "المعارف"، شارك في العديد من الملتقيات مثل الملتقى العلمي الذي نظمته جامعة الجزائر 2، في ماي سنة 2014 حول " الدراسات

1- Paul. (A.), Histoire De La Littérature Romaine, Tome 1, Maitre de conférences a l école normale supérieure, Paris, 1871, P- 34.
2 - Ibid, P- 35.

التاريخية في الجامعة الجزائرية: واقع وآفاق" بمداخلته الموسومة بمقارنة بين مناهج النظام الكلاسيكي ومناهج النظام الجديد في التعليم العالي.

كتب المؤلف المقال في "32" صفحة، وهو مقال منشور في مجلة عصور العدد عشرين"20"، وهو مقال على صيغة PDF، صدر عن منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران الجزائر سنة 2013، تناول في المقال ثلاثة عناوين الأول بعنوان الحياة الأدبية في روما، أما الثاني فجاء باللغة اللاتينية وبدايات الإبداع الأدبي لدى الرومان وأخيرا تناول الأدب اللاتيني المسيحي.

ثانيا- الدراسة الباطنية:

تجدر بنا الإشارة بداية إلى **هدف** المؤلف من دراسة هذا الموضوع، إذ من خلال قراءتنا له تمحورت لدينا مجموعة، من التصورات حول دوافع هذا الأخير من كتابة المقال، فالغالب أن المؤلف يود إبراز دور اللغة اللاتينية، في النهوض بالأدب الروماني، بعدما كان متقوقعا في دائرة الاكتفاء بتقليد الأدب الإغريقي، كما يرنو المؤلف إلى إبراز دور النخبة الإفريقية المثقفة في هذا المجال، منذ بداياته الأولى من خلال تقديم العديد من النماذج، التي كان لها حضور متميز ليرقى بعد ذلك، إلى ظهور شخصيات احتلت مرتبة الريادة، مع القرن الثاني للميلاد بعد الانتشار الواسع للمسيحية، والذي دفع هؤلاء إلى التأليف ليصبحوا روادا للأدب اللاتيني وخاصة المسيحي منه.

فيما يخص إشكالية الدراسة فقد طرح الباحث إشكاليات عديدة أولاها **(ما هي اللاتينية؟)**، إذ حاول في البداية، التعريف بهذه اللغة التي تطورت لتصبح لغة العلوم والآداب، حيث لقيت اللاتينية عدة عراقل. منها انتشار العديد من اللغات المحلية في إيطاليا (تنوع لغوي)، والذي لم تستطع التخلص منه إلا بعد وقت طويل، وهو الأمر الذي جعلها تعيش فراغا أدبيا لحوالي خمس قرون كاملة.[1] ليطرح المؤلف بعدها إشكالية أخرى مفادها **(كيف تحولت اللاتينية إلى لغة عالمية؟)**، فقد سعى الكاتب من خلال هذه الإشكالية، لإبراز الدور الذي لعبته قوة روما، في نشر لغتها في كامل العالم، بعد سيطرتها على مساحات شاسعة وضمها للعديد من الأقاليم، فساهمت قوتها السياسية والعسكرية في فرض لغتها

1- علي عبد التواب وآخر، الأدب اللاتيني في عصر الجمهورية وصدر الإمبراطورية قراءة في الأجناس الأدبية، القاهرة، 2006، ص 2.

وثقافتها، من خلال تطبيقها لسياسة الرومنة التي انتهجت عدة أساليب. فقد كانت مدينة روما هي الأخرى بداية الانطلاقة للحضارة الرومانية، وذلك لأن مواطنيها استطاعوا جعلها دولة كبيرة، ذات قوة عظمى بسطت سيطرتها على كامل إيطاليا.[1] ثم طرح إشكالية أخرى وهي كالأتي **(ما هي مجالات إبداعها؟)**، وهنا يثرينا المؤلف بمجموعة من الأمثلة، حول الآداب والفنون والعلوم، التي استطاعت اللاتينية أن تبرز من خلالها، وتكون لها بصمتها الفريدة بنوعها، عن الإبداع الأدبي الإغريقي، فتميز الرومان في مجال (المسرح، الشعر، النثر، التاريخ، الفلسفة، التراجم، الخطابة وغيرها). إضافة إلى إشكالية أخرى هي **(ما هي العوامل التي ساعدت على تطور الأدب اللاتيني؟)**، فمن خلال قراءتنا للمقال نستخلص، أولا أن نجاح روما في فرض لغتها في كل مستعمراتها، والتخلي عن تقليد الإغريق ثانيا، وتطور العديد من الفنون والآداب، سمح بظهور عدة شخصيات سواء كانت رومانية أو غير ذلك، كان لها شغف في الاهتمام بالعديد من المجالات، وهو ما ساعد في إحداث ثورة فكرية عالمية، كلها عبارة عن عوامل أدت لتطور الأدب اللاتيني. ليختمها المؤلف بالإشكالية الآتية **(ما مدى مساهمة المقاطعات الإفريقية في هذا المجال؟)**، حاول الكاتب منذ حديثه عن البدايات الأولى للأدب اللاتيني، أن يفيدنا بعدة أمثلة عن الشخصيات الإفريقية، التي كانت لها بصمتها الخاصة أيضا في تطور الأدب الروماني، واختلفت النماذج باختلاف مجالات الإبداع، إذ كان لهم حضور في المسرح والشعر والخطابة والتاريخ والفلسفة، ثم احتلوا الساحة بداية من القرن الثاني، ليحتلوا الصدارة مع الانتشار الواسع للمسيحية.

إذن هي إشكاليات كلها مترابطة، حاول الكاتب من خلالها الحديث عن الموضوع، منذ بداياته الأولى وحاول الانتقال بنا، من فترة لأخرى مع التعريف بكل نوع من أنواع الأدب الروماني، وأهم رواده الذين ساهموا في إضافة الجديد، وأبرز التغيرات التي طرأت عليه في كل فترة.

الفكرة العامة للمقال:

– الأدب اللاتيني بين التأثيرات الأدبية الإغريقية ودور الأفارقة في تطويره.

ملخص المقال:

1– إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، ط 1، الشركة العالمية للكتاب، 1996، ص. 19.

كانت اللاتينية تتطور مع تطور القوة الرومانية في مختلف المجالات، فأصبحت اللغة الرسمية لإيطاليا وكل مستعمرات روما، ولأنها كانت تعاني من نقص في قاموسها، اضطر الرومان للاقتباس من لغات أخرى منها الإغريقية، ولذلك مرت اللاتينية بثلاث مراحل لتطورها، المرحلة العتيقة فالكلاسيكية وأخيرا اللاتينية المتأخرة، بداية من القرن الثاني للميلاد، فقد منعت روما من التطور في المجال الأدبي، نظرا لعدم اهتمام شعبها بالجانب الفكري وانصرافهم للحياة الزراعية، وامتازت كتاباتهم بالطابع النثري في بداياتها، تجسد في الحفلات الدينية والمناسبات، وهو الطابع الذي امتاز به الشعر الحماسي _ وهو أقدم أنواع الشعر الشعبي الإيطالي حسب هوراس، وحسب تيتوس لفيوس فإنها تعود لحوالي 364 ق.م_ والمسرح الروماني الذي عرفت منه روما المسرح الساخر في الفترة نفسها، في حين أن أول نص أدبي كان "للكونسوريوس أبيوس كلاوديوس كايكوس".

ظل الإنتاج الأدبي الروماني محدودا، إلى غاية احتكاك الرومان بالإغريق حوالي 281 ق.م و 273 ق.م، وخلال الحرب البونية الأولى 241 ق.م، فتنوع الإنتاج الأدبي بعدها، واشتهرت أعمال ليفيوس أندرونيكوس (Livius Andronicus)، الذي ترجم الأوديسا لهوميروس، إذ توالت الأعمال بعد هذا الأخير، في مجالات عديدة أبرزها المسرح، الشعر، النثر، التاريخ، الفلسفة، الخطابة وغيرها.

يقودنا الحديث بدء عن المسرح باعتباره أول أشكال التعبير الأدبي اللاتيني، فقد ظهر ما سمي بالساتورا، والمسرحيات الهزلية، مثل مسرحيات **(أتيلا)**، والتي كانت تلقى دعما من السلطة الرومانية كما تبنى الرومان المسرح الإغريقي وتأثروا به خاصة في مجال "التراجيديا" و"الكوميديا" التي ظهرت بين القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد، والتي أبدع فيها بلاوتوس (Plautus) والإفريقي ترانسيوس (Terentius) ابن مدينة قرطاج، ثمّ بعد العهد الجمهوري ترك الرومان المسرح، واهتموا فقط بما يشبه المسرح الغنائي.

كما ظهرت الملحمة في الوقت الذي ظهر فيه المسرح، وأبرز ممثليها، ليفيوس اندرونيكوس وخلفه كل من غنايوس نايفيوس وكنتوس إنيوس (239- 169 ق. م) صاحب ملحمة الحوليات، وبرز الشاعر فيرجليوس خلال القرن الأول قبل الميلاد، والذي أبدع في كتابة الملاحم خاصة عندما كتب الإنياذة (Aeneis)، كما ألف الرومان في مجال النثر وتميز فيه الكونسريوس كاتو الكبير (Caton Le Censeur)، واشتهر الرومان بشعر الساتورا

خلال القرن الثاني قبل الميلاد، الذي أسسه جايوس لوكليوس (180- 148 ق.م)، ثم تطور مع هوراس خلال القرن الأول قبل الميلاد، وأصبح شاعر البلاط بعد فيرجليوس، وعرف أيضا جوفينا في هذا المجال.

عرفت الأشعار القصيرة في العصر الجمهوري بروما، والقادمة من الإغريق فعمل على تطويرها، الشاعر كاتولوس (Catulus) (87- 54 ق.م)، وبلغ هذا النوع أقصى تطوره في العهد الإمبراطوري، إضافة إلى الغزل والرثاء الذي عرف تطورا مع كاتولوس وآخرين، وعرف الأفارقة أيضا في مجال الشعر ومثال ذلك نيمزيان (Marus Aurelius Olympius Nemesianus)، ابن مدينة قرطاج المولود خلال القرن الثالث ميلادي، وعرف أيضا القرطاجي مارسيانوس كابلا (Martianus Capella)، خلال القرن الخامس للميلاد، إضافة إلى الشاعر كوربوس (Flavius Cresconuis Coripppus)، المولود بقرطاج حوالي 500م، تعتبر أعماله جد مهمة للتاريخ للمنطقة.

أما في مجال التاريخ فقد كتب الرومان تاريخهم، منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، على شكل حوليات عرف حينها فابيوس بيكتور (Fabuis Pictor) 254- 201 ق.م وكانيوس ألمنتوس الذي عاصره، فكان هدف كتابة التاريخ الدفاع عن السياسة الرومانية، لكن اختلف الأمر مع بداية القرن الثاني للميلاد، إذ أصبح المؤرخون يحللون الأحداث ويعلقون عليها، كما كتبوا باللاتينية وأولهم كاتون الكبير، وألف الرومان كتبا منوغرافية والتي امتاز بها يوليوس قيصر، واهتموا بالتراجم حيث برزت في العصر الجمهوري فئة من كتاب التراجم، أمثال (M. Terentius Varro) 116- 27 ق. م، وخلفه كرونيليوس نيبوس وسويتونيوس 75- 160 م، فتميز التاريخ بالدقة والصدق والنزاهة، وقد فرض سالستيوس نفسه هو الآخر في كتابة التاريخ، ثم تيتوس لفيوس وتاكيتوس بعدهم وعرف أيضا الخطيب الإفريقي فلوروس صاحب كتاب مختصر تاريخ الرومان.

أمّا المجال الذي لم توليه روما اهتمامها، هو الفلسفة باعتبارها تدعو لإعمال العقل، حيث أن النخبة الرومانية كانت تمنع انتشارها في أواسط المجتمع، في حين تحضر لأبنائها الفلاسفة لتعليمهم في المنازل، وفيما بعد اهتمت بالفلسفة الرواقية فقط، حتى شيشرون درسها وألف فيها، أما الأفارقة فاشتهر منهم ماكروبيوس القرطاجي ابن مدينة سيكا فنيريا. أما الخطابة فقد اعتبرها الرومان فنا مهما، لأنهم يستعملونها في خطاباتهم السياسية، للتأثير

على الجمهور، أشهر الخطباء كان شيشرون، الذي تعددت مواهبه حتى أطلق على عصره اسم العصر الذهبي أو عصر شيشرون، واشتهر من الأفارقة فرونتون السيرتي. وقد قدمت الرواية من بلاد الإغريق في وقت متأخر، في عصر نيرون مع بترونيوس اربتار (Petronius Arbiter)، وأشهرهم على الإطلاق هو الإفريقي أبوليوس المادوري، صاحب رواية الحمار الذهبي وهي أول رواية تكتب باللاتينية.

شهدت الساحة الأدبية اللاتينية فراغا بعد فرونتون السيرتي وابوليوس المادوري إلى غاية نهاية القرن الثاني ميلادي، الوقت الذي شهد انتشار واسع للمسيحية، وهو ما مهد لظهور الأدب اللاتيني المسيحي، بظهور شخصيات دينية إفريقية، رفعت راية الدفاع المستميت عن دينها ومعتنقيه، فألفوا كتبا ضد الوثنية والسلطة الرومانية، أمثال ترتليانوس الذي ألف كتابه (Apologeticum) في الفترة التي اشتدت فيها الاضطهادات على المسيحيين، ومينوكس فليكس له هو الآخر كتاب (Octavius)، إلا أنه كان هادئا اختلف أسلوبه عن ترتليانوس، إضافة إلى القديس كبربيانوس الذي مكنته ثقافته ليصبح أسقف قرطاج، من مؤلفاته (وحدة الكنيسة)، وأخيرا القديس أوغسطين الذي يعتبر من أعظم مفكري العالم، كان أسقفا لقرطاجة ودافع عن المسيحية الكاثوليكية ضد المانوية والدوناتية، من مؤلّفاته (مدينة الله، الاعترافات).

تحليل ومناقشة:

يتّضح أن الرومان كانوا متعطشين حقا، إلى الانفراد بلغتهم الخاصة بعيدا عن لغة الآخر، وفرضها في جميع المجالات، سواء كانت إدارية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية.

لأن الشعب الروماني وكما هو معروف عنه أنه يحتقر الأجانب، لكن في الوقت نفسه حاول الأخذ عنهم، وتطوير ما أخذ في طابع ذاتي مستقل، ليتطور بعد ذلك ويصبح عالميا، وتميزه هذا الذي أوصله إلى مصاف العالمية كان لعوامل منها؛ اقتصار الأدب الروماني في كتاباته بجميع فروعها على اللغة اللاتينية، عكس الأدب الإغريقي الذي امتاز بوجود اختلافات لغوية، بين الأشكال الأدبية فكل شكل منها احتفظ باللهجة التي تطور فيها، إضافة إلى أن الأدب الروماني، قد ضم بين جوانبه جميع المواهب العظيمة، التي ظهرت في حوض البحر المتوسط، أتروسكيين وغاليين وأفارقة، وفوق ذلك استطاع هذا الأدب، استيعاب الأدب اليوناني الذي كان سابقا له، حتى أنه كان له الفضل في انتقال، الميثولوجيا

والفكر والعلوم الإغريقية، إلى أوروبا في العصور الوسطى.[1]إذ تمكن الرومان من معرفة الطريقة، التي وجد بها الفكر والذوق والتعبير الروماني السبيل إلى العالم الحديث، وهو ما يجعل هذه الطريقة تستحق الدراسة بشكل خاص، والتي تتجلى في كون التكوين الأدبي، الذي مارسه الكتاب العظماء، والذي يمكن تتبعه بوضوح في إنتاجهم، الذي يقدم أفضل دراسة ممكنة للقوانين والظروف التي يمكن في ظلها تحقيق التميز الأدبي.[2]

كما يرجع الفضل في بقاء الفكر الإغريقي حتى الآن، للرومان الذين حفظوا الكثير من الأفكار الإغريقية في كتاباتهم. فكانت الترجمات التي ظهرت مع الرواد الأوائل، خير دليل على ذلك، إذ ترجم ليفيوس أندرونيكوس (Livius Andronicus) 284- 204 ق.م، الأوديسا إلى اللغة اللاتينية، والعديد من المسرحيات التراجيدية مثل مسرحية Aegisthus و Hermione.[3]

يمكن القول أن إنجاز هذا المترجم، هو الذي حدد الخطوط العريضة لمسار الأدب اللاتيني كله، وما جاء به يعد بمثابة إعداد لاتيني، لا ترجمة للروائع الإغريقية، مع حرص شديد منه على المحافظة على الجوهر الأصيل لهذه الروائع، وهي التي صنعت البداية الحقيقية للأدب اللاتيني، وبهذه الترجمة يحتل أندرونيكوس الصفحة الأولى في تاريخ الأدب اللاتيني المدون.[4]

ولكون الرومان قد تعرفوا على الإنتاج الرئيسي للعقل الهليني، بعد الحرب البونيقية الأولى فقط، لا يمكن دراسة منهجية الأدب اللاتيني قبل أندرونيكوس، فقد كانت الفترات السابقة تشهد فراغا أدبيا، إذ لوحظ القليل من التقدم فقط في اللغة.[5]

اختلفت أشكال وألوان الإنتاج الأدبي اللاتيني، بعد تحرره من قيود التقليد الإغريقي، الذي مهما كان مدينا له، إلا أن الأدب اللاتيني بلغ من الانتشار والتأثير الدائم ما لم يبلغه

1- عبد العظيم محمد أحمد عبد الكريم، الأدب الروماني من البداية حتى نهاية عصر شيشرون، مصر، 1985، ص. 1-2.

2- Charles.(T. C.), A History of Roman literature From the Earliest Period to the Death of Marcus Aurelius, Oxford, 1877, P. 11.

3- فايز يوسف محمد، محاضرات في أدب الرومان في العصر الذهبي، جامعة عين شمس، مصر، 2000، ص. 10.

4- أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، عالم المعرفة، 1989، ص 15.

5- Charles (T. C.), Op. Cit., P. 11.

أدب آخر، وهذا التأثير كان يسري عبر القرون، وكان الغذاء اليومي للأجيال جيلا بعد جيل.[1]

لذلك يعتبر الأدب اللاتيني أدب عالمي منذ تفتحه، وأدب إمبراطورية عالمية في مراحلها المختلفة، سواء في تقدمها نحو السيادة، أو في بلوغها أوج عظمتها أو في انحدارها وأفول نجمها.[2]

أبدع الرومان في كافة المجالات الأدبية والعلمية، فكان لهم نصيب في الشعر والمسرح والتاريخ والخطابة وغيرها، لكن نلاحظ أنه مهما تحرر الرومان، من تأثيرات الأدب الإغريقي خاصة في بداياتهم، لكن إن لم يكتبوا بالإغريقية، تجدهم يبدعون باللاتينية على الأسلوب الإغريقي، والأمثلة في ذلك كثيرة وتختلف أسبابها التي يمكن أن تصب في الآتي:

كان هناك اتجاهان من الأدباء اللاتين حين بدءوا في النقل عن الإغريق، اتجاه قائم على الاكتفاء بالأخذ من الأدب الإغريقي، دون إحداث أي تغيير، واتجاه يهدف إلى أن يلتن (Latinize) أو يرومن (Romaniwe)، كل ما يأخذه من الأدب الإغريقي حتى يتفق وذوق البيئة المحلية، لكن هذا الاتجاه هو الآخر شهد تراجعا.[3]

كما لم يستطع الرومان الكتابة بحرية تامة، خوفا من السلطة الرومانية التي كانت تشدد على هذا الجانب كثيرا، وترفض كل من ينتقدها أو يقلل من شأنها، فبرز هذا في المسرح الروماني، إذ لم يتجرأ أحد على كتابة مسرحية رومانية خالصة، فكانوا يقتبسون من المسرحيات الإغريقية، ويغيرون فيها بما يحقق أهدافهم دون التجرؤ، على إظهار مكان روماني أو شخصية رومانية على خشبة المسرح، وكان الكاتب قبل بدء المسرحية يؤكد ويكرر أنه أخذ كل شيء من كاتب إغريقي، وأن أحداث المسرحية وقعت في بلاد الإغريق، فقد ارتضى الكتاب الرومان، أن يكونوا في الظل ليتمكنوا من قول ما يريدون.[4]

رغم تعدد وكثرة الأدباء الرومان إلا أنه كان هناك من يكتب خوفا من السلطة، وهذا يكتب لأجل السلطة، ويمجدها لترضى عنه فيحقق مصالحه الشخصية، من الحصول على

1- أحمد عتمان، المرجع السابق، ص. 15.

2- عبد العظيم (م. أ. ع.ك)، المرجع السابق، ص. 2.

3- علي (ع. ت.) وآخر، المرجع السابق، ص. 10.

4- أديث هاملتون، الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة، تر. حنا عبور، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1997، ص. 10- 11.

مناصب إدارية، وعلو شأنه في الأمة، ونجد فئة قليلة كتبت حقا لأجل الأدب لا لغيره. وهو ما يسوقنا إلى الحديث عن الأدب اللاتيني المسيحي، الذي ظهر مجادلا للسلطة الرومانية، ورفع ضدها راية التحدي والدفاع عن الحق، وكان أبرزهم شخصيات إفريقية كان لها صدى واسع، لإحياء الأدب اللاتيني بعد غياب طويل، وإضفاء أسلوب جديد من ميزاته، الكتابة باللاتينية، وعدم الخضوع للسلطة الرومانية في الكتابة.

كان أبرز هذه الشخصيات القديس ترتليانوس، الذي كان أول من كتب باللاتينية وأبدع، حتى تسمى بأبي الأدباء اللاتين[1]، والقديس كبريانوس والقديس أوغسطين، الذي انحاز عن هذين الأخيرين للسلطة الرومانية، ليكتب مدافعا عن المسيحية الكاثوليكية، واعتبر بمؤلفاته أكبر عالم لاهوت في الغرب المسيحي. ومنه فقد كان لتلك المساهمات الإفريقية في الأدب الروماني، فضل كبير لا يزال التاريخ شاهدا عليها.

أهمية المقال:

انطلاقا مما سبق، يتضح أن الموضوع الذي طرحه المؤلف يتسم بالموضوعية في إطاره العام، رغم أن بعض التفاصيل والجزئيات، كانت بحاجة إلى تحليل أدق وتفسير مفتوح على زوايا مختلفة، وتعود قيمة ما ورد في المقال إلى اعتماد المؤلف على ببليوغرافيا ثرية ومتنوعة، من مصادر ومراجع مختصة في الموضوع نذكر منها:

– مؤلف الخطابة لشيشرون (Ciceron) وهو مصدر جد مهم، باعتبار هذا الأخير قد أبدع في المجال، وتنوعت مؤلفاته في العديد من أشكال وألوان الأدب الروماني، وأكثر من ذلك أنه عايش الأحداث، وكتب عن من سبقه في التأليف.

– كما اعتمد الكاتب على مصدر آخر مهم، هو التاريخ الروماني لمؤلفه تيت ليف (Tite live)، الذي جمع كتب حول تاريخ روما من نشأتها إلى غاية 9 م، والمعروف عنه أنه جمع المعلومات ونظمها بأسلوب سلس.

– كما اعتمد على مراجع مهمة مثل كتاب الأفارقة ل:(بول مونصو) كونه يثري الموضوع لأن المؤلف تناول فيه الكثير، من الشخصيات الإفريقية التي كان لها دور بارز، في إثراء الرصيد الفكري الروماني، عبر مختلف الفترات التاريخية.

1- John Elmer. P. Abad, Identity and Religion in Roman North Africa: The Apologetic of Tertullian A Thesis Submitted in conformity with The Requirements for The degree Of Classics, university of Toronto, 2018, P- 44.

كثيرة ومتنوعة هي المادة المعرفية، التي اعتمدها الكاتب في هذا المقال، إذ لا يسعنا المقام للتطرق إليها كلها، ولكن تكفي الإشارة إلى إبراز أهميتها في كتابة التاريخ. إذ كان توظيف الكاتب للمادة التاريخية موفقا إلى حد بعيد، وهو ما انعكس على أفكاره التي وردت متسلسلة، وخادمة للفكرة العامة، فيجد القارئ نفسه ينتقل بسلاسة من فكرة إلى أخرى، بفضل الترابط القوي بين العبارات والأفكار.

أمّا اللّغة التي وردت في المقال، فهي لغة تاريخية بسيطة، تمكن الباحث من خلالها من إيصال أفكاره، التي حملت دلالات قوية وحقائق تاريخية مهمة، عكست الموضوعية في الطرح.

البيبليوغرافيا:

أولا- باللغة العربية:

1- أيوب إبراهيم، التاريخ الروماني، ط 1، الشركة العالمية للكتاب، 1996.

2- عبد التواب علي وآخر، الأدب اللاتيني في عصر الجمهورية وصدر الإمبراطورية قراءة في الأجناس الأدبية، القاهرة، 2006

3- عبد الكريم عبد العظيم محمد أحمد، الادب الروماني من البداية حتى نهاية عصر شيشرون، مصر، 1985.

4- عتمان أحمد، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، عالم المعرفة، 1989.

5- محمد فايز يوسف، محاضرات في أدب الرومان في العصر الذهبي، جامعة عين شمس، مصر، 2000.

6- هاملتون أديث، الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة، تر. حنا عبور، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1997.

ثانيا- باللّغة الأجنبية:

1- Charles Thomas crutwell, A History of Roman littérature Frome the Earliest Période to the Death of Marcus Aurelius, Oxford, 1877.

2- John Elmer. P. Abad, Identity and Religion in Roman North Africa : The Apologetic of Tertullian A Thesis Submitted in conformity with The Requirements for The degree Of Classics, university of Toronto, 2018.

3- Paul Albert, Histoire De La Littérature Romaine, Tome 1, Maitre de conférences a l école normale supérieure, Paris, 1871.